بسم الله الرحمن الرحيم

«أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» 26 محرم 1443 هـ

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ حَاجَةَ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى السَّلَامِ غَرِيزَةٌ فِطْرِيَّةٌ، وَضَرُورَةٌ بَشَرِيَّةٌ، وَمَصْلَحَةٌ شَرْعِيَّةٌ؛ إِذْ لَا بِنَاءَ وَلَا إِعْمَارَ، وَلَا رُقِيَّ وَلَا ازْدِهَارَ، وَلَا تَنْمِيَةَ وَلَا ابْتِكَارَ إِلَّا بِهِ، وَبِضِدِّهِ الدَّمَارُ وَالْبَوَارُ.

لَقَدْ كَانَ الْعَالَمُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ تَحْكُمُهُ الْعَصَبِيَّةُ الْقَبَلِيَّةُ، يُشْعِلُونَ الْحُرُوبَ لِقُرُونٍ طَوِيلَةٍ مِنْ أَجْلِ سَبْقٍ أَوْ نَيْلِ ثَأْرٍ، وَيُهْدِرُونَ فِي ذَلِكَ الدِّمَاءَ، وَيُقِيمُونَ الْعَدَاوَاتِ. فَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَعُنِيَ عِنَايَةً فَائِقَةً بِالدَّعْوَةِ إِلَى السَّلَامِ، وَنَبْذِ الْحُرُوبِ وَالنِّزَاعَاتِ، وَالْقَتْلِ وَالصِّرَاعَاتِ، وَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ عَظِيمَ الْأَجْرِ وَالْجَزَاءِ. فَالْإِسْلَامُ هُوَ الَّذِي حَسَمَ شِرَّةَ الْخُطُوبِ وَالْكُرُوبِ، وَانْتَشَلَ الْإِنْسَانِيَّةَ مِنْ أَوْهَاقِ الْبَغْضَاءِ وَالشَّحْنَاءِ إِلَى مَرَاسِي التَّوَافُقِ وَالصَّفَاءِ، وَالسِّلْمِ وَالْوَفَاءِ.

هُوَ الْبَلْسَمُ الشَّافِي لِكُلِّ عَوِيصَةٍ ... أَعْيَتْ مَخَاطِرُهَا عُقُولَ أُباتِهَا

اللهُ قَدْ فَطَرَ النُّفُوسَ عَلَى الْهُدَى ... وَأَنَارَ بِالْإِسْلَامِ دَرْبَ هُدَاتِهَا

إِنَّهُ دِينُ السِّلْمِ وَالسَّلَامِ، وَالْوِفَاقِ وَالْوِئَامِ، وَمَا شُرِعَتْ أَحْكَامُ الشَّرِيعَةِ إِلَّا لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي أُمُورِ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَحَيْثُمَا وُجِدَتِ الْمَصْلَحَةُ الْمُتَيَقَّنَةُ فَثَمَّ شَرْعُ اللهِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ جَاءَتِ الشَّرِيعَةُ الْعَادِلَةُ بِحِرْصِهَا عَلَى الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ دُونَ إِفْسَادٍ أَوْ تَدْمِيرِ مُمْتَلَكَاتِ الْعَدُوِّ، فَكَيْفَ بِالْأَخِ وَالصَّدِيقِ؟! وَمَا تَقُومُ بِهِ مَنَافِعُ الْعِبَادِ، وَيُصْلِحُ عَمَارَ الْأَوْطَانِ وَالْبِلَادِ.

أنا مُسلمٌ والسِّلمُ فِي وِجْدَانِي ... سِلْمًا مِن الإرهابِ والعُدْوَانِ

رَبِّي السَّلامُ تقَدَّسَتْ أسمَاؤُهُ ... ذُو الفَضلِ والإكرامِ والإحسَانِ

إِنَّ مِنَ الْفِرَى الَّتِي أُلْصِقَتْ بِالْإِسْلَامِ، وَكَانَتْ مَثَارَ التَّوَجُّسِ وَالْخَوْفِ مِنْهُ: اتِّهَامَهُ بِالْعُنْفِ وَالظُّلْمِ وَالْحَيْفِ. وَتِلْكَ أُكْذُوبَةٌ ظَاهِرٌ عَوَارُهَا، وَيُفَنِّدُهَا أُوَارُهَا. فَالْإِسْلَامُ كَانَ وَلَا يَزَالُ وَسَيَظَلُّ بِإِذْنِ اللهِ فِي عُلُوٍّ وَانْتِشَارٍ، وَانْتِصَارٍ وَازْدِهَارٍ؛ لِأَنَّهُ دَلَفَ إِلَى الْقُلُوبِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَالْمَعْرُوفِ، لَا بِالْغِلْظَةِ وَالْحُتُوفِ. فَالْإِسْلَامُ هُوَ الْمِلَّةُ الَّتِي لَا تَقُومُ الدُّنْيَا إِلَّا عَلَى ضِيَائِهَا، وَلَنْ تَرْشُدَ إِلَّا بِهَدْيِهَا وَسَنَائِهَا. فَكَمْ خَسِرَ الْعَالَمُ الْخُسْرَانَ الْمُبِينَ بِتَأَخُّرِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ مَنَازِلِ السِّيَادَةِ وَالرِّيَادَةِ، وَمَرَافِئِ السَّعَادَةِ وَالْقِيَادَةِ.

لَقَدْ أَصْبَحَ الْأَمَانُ لَدَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ الْيَوْمَ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً، وَإِنَّ السَّلَامَ الْحَقِيقِيَّ وَالْأَمْنَ الْمُجْتَمَعِيَّ لَا يَكُونُ بِانْعِدَامِ التَّوَتُّرِ بَيْنَ الْأَفْرَادِ وَالْبُلْدَانِ، بَلْ بِتَحْقِيقِ الْعَدَالَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَلَنْ يَسُودَ السَّلَامُ هَذَا الْعَالَمَ إِلَّا بِإِقَامَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَإِعْطَاءِ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ.

عِبَادَ اللهِ: اللهَ اللهَ فِي تَحْقِيقِ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ، وَالْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ وَالْوِئَامِ، فَسَلَامُ وَأَمْنُ الدَّوْلَةِ وَاسْتِقْرَارُهَا وَهَيْبَتُهَا لَا يُمْكِنُ تَجَاوُزُهُ، وَهُوَ مَسْؤُولِيَّةُ الْجَمِيعِ، يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْمُحَافَظَةُ عَلَيْهِ، وَالِالْتِفَافُ حَوْلَ قِيَادَتِهَا، وَالتَّلَاحُمُ مَعَ وُلَاةِ الْأَمْرِ ضِدَّ كُلِّ مَنْ أَرَادَ بِأَمْنِهَا سُوءًا، مِنْ دُعَاةِ الشَّرِّ وَالْفِتْنَةِ، وَمَنْ يُرِيدُ الْخُرُوجَ عَلَى الْأَئِمَّةِ، وَنَزْعَ يَدِ الطَّاعَةِ.

إِنَّ مِمَّا يُقَوِّضُ عَمَلِيَّةَ السَّلَامِ رَوَاجَ الْأَفْكَارِ الْمُتَطَرِّفَةِ، وَالتَّنْظِيمَاتِ الْإِرْهَابِيَّةِ، وَدَعْمَ الْخَوَارِجِ وَتَمْوِيلَهُمْ، وَتَشْجِيعَ الْمَسِيرَاتِ وَالْمُظَاهَرَاتِ، وَبَثَّ الشَّائِعَاتِ الْمُغْرِضَةِ مِنْ قَنَوَاتِ الْفِتْنَةِ وَأَبْوَاقِهَا. فَالْوَاجِبُ نَشْرُ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَكَشْفُ عَوَارِ الْخَوَارِجِ الْمَارِقِينَ، لَاسِيَّمَا فِي مَنَاهِجِ التَّعْلِيمِ، وَوَسَائِلِ الْإِعْلَامِ، وَمَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الِاجْتِمَاعِيِّ، خَاصَّةً بَيْنَ الشَّبَابِ، الَّذِينَ هُمْ هَدَفٌ لِلْمُغْرِضِينَ،

وَالْخَوَارِجِ الْمَارِقِينَ.

إِنَّهُ مُنْذُ أَنْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ ظَلَّلَتِ الْكَوْنَ بِأَمْنٍ وَسَلَامٍ وَارِفٍ، هُوَ مِنْ أَوْلَى الْمَطَالِبِ، وَأَفْضَلِ الرَّغَائِبِ، وَأَهَمِّ الْمَقَاصِدِ؛ فَهُوَ مَطْلَبٌ رَبَّانِيٌّ، وَمَقْصَدٌ شَرْعِيٌّ، وَمَطْلَبٌ دُوَلِيٌّ، وَهَاجِسٌ إِنْسَانِيٌّ. وَكَمْ فِيهِ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْآثَارِ السَّنِيَّاتِ.

فَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ دَاعِيًا لِلْحَرْبِ وَلَا إِلَى الْمُخَاصَمَةِ، وَلَا إِلَى التَّنَازُعِ وَالْمُشَاجَرَةِ، بَلْ كَانَ رَحِيمًا سَمْحًا عَفُوًّا. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ»، قَالَ: «فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ»، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

وَلَمْ تَكُنْ عَلَاقَةُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ مُخَالِفِيهِ مُجَرَّدَ عَدْلٍ وَسَلَامٍ وَرَحْمَةٍ، بَلْ تَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى الْإِحْسَانِ وَالْبِرِّ وَالصِّلَةِ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»، وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ

الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْإِرْوَاءِ»، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ يَهُودِيًّا دَعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَى خُبْزِ شَعِيرٍ، وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ، فَأَجَابَهُ. وَالْإِهَالَةُ السَّنِخَةُ: مَا أُذِيبَ مِنَ الشَّحْمِ، وَتَغَيَّرَتْ رَائِحَتُهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ هَذِهِ الْمَوَاقِفَ الْعَظِيمَةَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَتُبَيِّنُ لَنَا مَنْهَجَ الْإِسْلَامِ وَمَا يَدْعُو لَهُ مِنْ سِلْمٍ وَسَلَامٍ مَعَ الْمُخَالِفِينَ - مَا لَمْ يَكُونُوا مُحَارِبِينَ أَوْ مُعْتَدِينَ - وَذَلِكَ بِالْعَدْلِ وَالْإِقْسَاطِ إِلَيْهِمْ، وَالْإِحْسَانِ فِي مُعَامَلَتِهِمْ، وَإِكْرَامِ جِوَارِهِمْ، وَإِجَابَةِ دَعْوَتِهِمْ، وَقَبُولِ هَدَايَاهُمْ دُونَ الْمُدَاهَنَةِ فِي دِينِهِمْ.

وَلَقَدْ فَقِهَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ذَلِكَ، فَكَانُوا يَصِلُونَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَقَارِبِهِمْ وَجِيرَانِهِمْ، وَيُحْسِنُونَ إِلَيْهِمْ رَجَاءَ هِدَايَتِهِمْ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذْ عَاهَدَهُمْ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ»، وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ مُجَاهِدٍ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ فِي أَهْلِهِ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ؟ أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ».

إِنَّ مَا نَسْمَعُهُ الْيَوْمَ مِنْ خِطَابَاتِ الْعُنْفِ وَالتَّحْرِيضِ إِنَّمَا هِيَ صُورَةٌ مِنْ صُوَرِ التَّطَرُّفِ الَّذِي تَرْفُضُهُ الشَّرَائِعُ السَّمَاوِيَّةُ، وَالْعُقُولُ السَّوِيَّةُ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنِ انْتِشَارِ الْفَوْضَى فِي الْمُجْتَمَعَاتِ، وَمَا يَنْتُجُ عَنْهُ مِنِ انْتِهَاكِ الْحُرُمَاتِ.